

ميدل إيست آي | غزة: حين تتحوّل الأسماء إلى همسات في السماء

الثلاثاء 8 يوليو 2025 10:20 م

كثبت تقوى أحمد الواوي في ميدل إيست آي مقالة مؤثرة عن الحرب على غزة، ووجع الفقد الذي يرافق من كان يومًا مليئًا بالأصدقاء، وكيف يتحول القلب إلى دفتر أسماء لا تُنسى. كانت الكاتبة تعتبر نفسها اجتماعية، تحب الناس وتجد سهولة في التقرب منهم. كانت "البنيت المرحلة"، صاحبة الابتسامة الدائمة، وراحتها للغرباء. اعتقدت أن هذا حب ونعمة، لكنها أدركت لاحقًا أنه في زمن الحرب، يصبح القلب المفتوح جرحًا لا يلتئم. في الحرب، تتسع دوائر الفقد كلما زاد عدد الأحبة. ومع كل من يرحل، تأخذ الحرب جزءًا جديدًا من الروح. تقول: "لم أعد أعد الأيام، بل أعد الأسماء. لم أعد أحتفل بالمناسبات، بل أدوّن ما فاتني منها. أسير في الذكريات، أتنفس الحنين بدل الهواء، وأحمل وجوه أصدقائي كرموز مقدسة لا يمسه الزمن". لم تفقد أصدقاء فقط، بل فقدت أجزاء من نفسها معهم: ضحكات لم تكتمل، أحلام لم تُعاش، ومستقبل لم يأت. الأسوأ، أن القلب لا يزال يفتح أبوابه للآخرين، رغم علمه أن كل لقاء قد يكون الأخير. صور الأصدقاء تحولت إلى لقطات صامتة، وأصواتهم إلى نساءم باردة، تحكي قصصًا ناقصة. تقول: "الحقيقة التي تبقى: حين نفقد أصدقاءنا، نفقد النسخة من أنفسنا التي لم تكن موجودة إلا معهم".

شيماء صيدم - 15 أكتوبر 2023 - 19 عامًا
شيماء لم تكن مجرد طالبة ذكية، بل كانت نورًا خالصًا. حازت المركز الأول على فلسطين في الثانوية العامة، لكنها كانت أعمق من درجاتها. درستنا معًا، حفظنا القرآن جنبًا إلى جنب، وتشاركنا اللحم والطريق. تقول تقوى: "كلما أردت الاستسلام، أهُمس باسمها وأمضي".

رغد النعمي - 16 أكتوبر 2023 - 19 عامًا
رغد كانت صامتة، تكلمها عينها وابتسامتها. كانت مثل كتاب نادر، يُقرأ ببطء. في لحظات الامتحان، كانت سكونها يبعث طمأنينة. كانت جزءًا من الثلاثي: شيماء، رغد، وتقوى. رحلت، وتركت فراغًا لا يُملأ.

لينا الحور - 27 أكتوبر 2023 - 19 عامًا
تعرفت إليها في الإعدادية، وتشاركنا الضحك، كأنهما تعرفان أن تلك اللحظات قصيرة. في حفل التخرج، وقفت بجانب صديقتها المقربة سجود، بابتسامتها المعتادة. لكن المستقبل لم يأت. لا تزال دعوات سجود على الإنترنت تُشعر تقوى أن ليना تحرسها من السماء.

ميّار جودة - 31 أكتوبر 2023 - 18 عامًا
كانت ميّار أصغر بسنة، لكنها كانت تملك حكمة تفوق عمرها. تعرّفت إليها في برلمان الطلبة. صوتها كان شعرًا، وحديثها أملًا. كانت تحلم بأن تصبح جراحًا. ماتت قبل أن تبدأ عامها الأخير في المدرسة.

أسماء جودة - 24 مايو 2025 - 21 عامًا
ليست مجرد زميلة من المدرسة، بل رفيقة حلم وحافضة للقرآن. فازت مع مريم في مسابقات كثيرة. كانت مثل النور، تحبها كل من تعرفها. جلست قرب صديقة تقوى المقربة، آية، طوال السنة الأخيرة، وكانت صوتها لا يُنسى.

الذاكرة مقاومة

تقول الكاتبة: "كلّهن قُتلن بغارات الاحتلال الإسرائيلي. بعضهن قُصفن في بيوتهن، وأخريات في مراكز النزوح. لم أُنح فرصة الوداع، لم أتمكن من أن أقول لهن وداعًا يليق بهن". لذا تكتب. لأن التذكر مقاومة. لأن الغياب ثقيل، والسكوت يجرح، والذكريات تفضح القهر. الفقد لا يعني فقط فقدان شخص، بل فقدان لغة لا يفهمها أحد سواك وسواه. الصديق يرى ما لا يرى، ويسمع نبضك حتى في صمتك. هو مرآتك، وعندما تنكسر، تُكسر معها أنت. تختم تقوى: "أكتب كي تظل أسماءهن مضيئة. كي يعرف العالم أنهن كنّ هنا، ضحكن، وطمئن، وسرن إلى جانبي. وهن لا يزلن يمشين في داخلي. كنت أرى في اجتماعيتي نعمة، والآن أحملها كندبة. لكنني لن أتوقف عن منح قلبي، ولن أتوقف عن التذكر. لم يكن مجرد صديقات، كنّ فصولًا من حياتي. وأسماءهن تستحق أن تُروى. إلى الأبد".

<https://www.middleeasteye.net/opinion/war-gaza-when-friends-become-names-you-whisper-sky>